محمد أحمد المهدي والثورة المهدية

رؤية غير سودانية

د . المهدي مأمون أبشر

قسم اللغة العربية

كلية الآداب

جامعة الخرطوم

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى مناقشة وتوضيح رأي الشيخ محمد عثمان السنوسي التونسي ومفكرين آخرين غير سودانيين في الثورة المهدية وقائدها محمد أحمد المهدي. وتبين من البحث أنها آراء تخالف ما عُرِف عن حياة محمد أحمد المهدي وثورته في المصادر السودانية ، ونبه البحث المؤرخين السودانيين إلى ضرورة الرد على تلك الآراء وتصحيح الخطأ منها لبيان حقيقة تلك الثورة وقائدها.

اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي.

يمثل هذا البحث رأي المفكر التونسي الشيخ محمد بن عثمان السنوسي (1276هـ-1851م/ 1318هـ -1900م) وآراء مفكرين عرب آخرين معاصرين في الثورة المهدية وقائدها الإمام محمد أحمد المهدي وهدفنا من هذا البحث أن يتعرف الباحثون والقراء على آراء الآخرين – من غير السودانيين – في تاريخ أمتنا السودانية خصوصاً إذا علمنا اختلاف وجهات نظرهم عما نؤمن به ونتقبله حقائق ومسلمات تاريخية لا تقبل النقض.

وقد أورد السنوسي رأيه هذا في الجزء الثالث من مؤلفه القيم (الرحلة الحجازية)

وننبه في بداية حديثنا أن الشيخ السنوسي هذا يعود أصله إلى المغرب وهو ما أكده بنفسه حين قال " إن أصل مقدم أجدادي كان من المغرب منذ أربعمائة سنة " ، ولد بحاضرة تونس ، ونشأ في بيت علم (1).

وموضوع المقال الذي نتعرض للحديث عنه ورد في كتابه المذكور أعلاه تحت عنوان (الشيخ محمد أحمد ونازلة السودان)(2).

ومما يلاحظ أن محقق الكتاب الدكتور علي الشنوفي كان يحيل القارئ إلى كتاب بروكلمان (تاريخ الشعوب الإسلامية)(3) وكتاب رشيد رضا (تاريخ الأستاذ الإمام ج1) أي تاريخ الإمام الشيخ محمد عبده (4).

وقد أورد صاحب كتاب (الرحلة الحجازية) الشيخ محمد بن عثمان السنوسي أخباراً عن حياة الإمام المهدي ، ومراحل دعوته ، وثورته وعلاقته بالحكومة التركية في السودان والحكومة الخديوية في مصر ، وهي أخبار ينافي بعضها ويعارض معارضة صريحة ما هو معلوم من تاريخ الإمام المهدي ودعوته حسب ما تدلنا عليه المصادر السودانية التاريخية الموثوق بها.

وأول ما نلاحظه من ذلك ما زعمه المؤلف من أن الإمام المهدي تلقى تعليمه في مصر لمدة سنتين ، ثم عمل موظفاً في الحكومة ، وأنه كان من شيوخ الطريقة القادرية يقول : "هو رجل نشأ بدنقلة من بلاد السودان ونشأ بها وجمع القرآن الكريم وعلمه للأطفال وارتحل إلى مصر في طلب العلم فقرأ بها سنتين ورجع في

أوائل سنة ثلاثة وثمانين ومائتين وألف ، وكان عمره يناهز الخمس وعشرين سنة فولي وظيفة الكتابة في حكومة الخرطوم مدة ثم استعفي واشتغل بتلقين الطريقة القادرية وتنقل إلي فشودة واجتمع عليه فقهاء القادرية في مديرية فشودة ومال إليه

شيوخ بقارة وكثرت عليه الجموع وحسده بها سلفه في مشيخة الطريقة هنالك ، فسعى به إلى مدير فشودة بأن الرجل قد مال إليه جميع الناس ويخشى أن يظهر منه أمر يعي الدولة ، فأرسل المدير بذلك إلى حكمدار السودان إسماعيل باشا أيوب يومئذ وذلك سنة 1297هـ فأمره بأن يتوجه إلى محمد أحمد في مائة وخمسة وعشرين عسكرياً وعند وصولهم إليه يحضر عنده قاضي المديرية وعلماء تلك الجهة يخاطبونه في أمر تلك الاجتماعات حتى يتركها وينفصل عنه أتباعه "(5)

يتضح من النص أعلاه أن الكاتب تعرض فيه إلى عدة مسائل فيما يتعلق بحياة الإمام المهدي وبدء دعوته ، ونلاحظ أنه لم يذكر موضع مولده بالتحديد وهو (جزيرة لبب) ولكنه ذكر دنقلا وكتب هذا الاسم (دنقلة) هكذا بفتح الدال وسكون النون وفتح القاف ثم التاء المربوطة ، وتحدث إجمالاً عن نشأته والتعليم الذي تلقاه فذكر أنه حفظ القرآن بدنقلا وعلمه الأطفال ، ونحن إذا رجعنا إلى كتب التاريخ وعلى رأسها كتب د.مكي شبيكة نجدها تؤكد لنا أن والد محمد أحمد قد" انتقل بعائلته حيث حط رحاله في كرري ومحمد أحمد لا يزال صغيراً " وذكر د.شبيكة ـــ رحمه الله تعالى ـــ أن محمد أحمد " انصرف إلى العلم والدين ، حيث بدأ بالقرآن في الخلوة في كرري ثم في الخرطوم عندما انتقل أخوته ثم رحل إلى كترانج ليلتقي العلم والقرآن على يد الشيخ الأمين الصويلح ، وعند الغبش في منطقة بربر تتلمذ على الشيخ محمد الخير ، وانتقل بعدها إلى أم مرحي عند الشيخ محمد شريف ود نور الدائم خليفة مؤسس الطريقة السمانية في السودان الشيخ أحمد الطيب البشير"(6، 7 ، 8).

ثم يذكر الشيخ السنوسي في صراحة تامة أن محمد أحمد عاد إلى الخرطوم من مصر وعمره قد ناهز الخمس والعشرين سنة ، ويشير إلى أنه تولى وظيفة في الحكومة السودانية بالخرطوم ثم بعد ما استعفى من تلك الوظيفة اشتغل بتلقين الطريقة القادرية. وهذا الذي ذكره السنوسي ينافي ما علم من حياة محمد أحمد المهدي (9).

ثم يتعرض المؤلف لمسألتين مهمتين في تاريخ الإمام المهدي ، أولهما مسألة الخلاف مع شيخه في الطريقة ، والمؤلف لا يبين لنا من هو ذلك الشيخ ، ولكنه

يحدد مكانه بمديرية فشودة ، ويرجع أسباب الخلاف إلى حسد شيخه في الطريقة لأن محمد أحمد " اجتمع عليه فقهاء القادرية في مديرية فشودة ومال إليه شيوخ قبيلة بقارة وكثرت عليه الجموع كثرة حسده بها سلفه في مشيخة الطريقة هنالك"(10).ومما لا يحتاج إلى تنبيه أن محمد أحمد لم يكن قادرياً وإنما كان سمانياً

سلك هذه الطريقة على الشيخ محمد شريف ود نور الدائم بأم مرحي ، ولا ينافي هذا ما عرف عن صلة الطريقة السمانية بالطريقة القادرية ولا مما عرف من مشائخ السمانية من أنهم كانوا يلقنون الطريقة القادرية إلى جانب السمانية وطرقاً أخرى ، ولكن عرفت هذه الطريقة بالسمانية تمييزاً لها ، وهذا يدل على أن الأمر قد اختلط على الشيخ السنوسي فجعل محمد أحمد من أتباع الطريقة القادرية ، ثم أن اشارته إلى موضوع الخلاف مع شيخه ليس فيه ما يؤكد أنه يقصد خلاف محمد أحمد مع شيخه الأستاذ محمد شريف والدليل على ذلك أنه قال " سلفه في مشيخة الطريقة هنالك " فكأنه يشير إلى شيخ آخر سبق نفوذه حضور محمد أحمد إلى منطقة فشودة ، ورغم ذلك فإننا نرجّح أن المؤلف كان قد سمع بالخلاف بين الشيخ محمد شريف وتلميذه محمد أحمد واختلط عليه الأمر فجعل الحادثتين شيئاً واحداً ، هذا إذا سلمنا أصلا بوجود شيخ آخر من شيوخ القادرية بمنطقة فشودة تتلمذ عليه محمد أحمد ثم اختلف معه ، وهذا أمر بعيد الاحتمال ، والذي تميل إليه النفس أن المؤلف يقصد الإشارة إلى الخلاف مع الأستاذ محمد شريف ولم يكن يعلم حقيقة الامر علما تاماً .

والذي يهمنا في هذا الامر أن هذا الخلاف ، أو هذا الحسد – على حد زعم المؤلف- يقودنا إلى بيان المسألة الثانية وهي بدء صدام محمد أحمد مع الحكومة ، وأن الأمر برمته – كما يتبين لنا من كلام السنوسي – كان سعاية ووشاية من ذلك الشيخ المنافس له والذي نبه مدير فشودة إلى خطورة أمر محمد أحمد واجتماع الناس عليه ، ويشير النص بعد ذلك إلى أن الأمر كان في بدايته وكانت معالجة الحكومة له أنها أمرت الحكمدار اسماعيل باشا أيوب أن تتم المعالجة سلمياً ، وأن يتدخل العلماء وقاضي مديرية فشودة لمناقشة محمد أحمد في أمره بعد إحضاره عنده تحت حراسة العساكر.

ويلاحظ أن المؤلف لم يشر إلى موضوع المهدية ، فالاجتماع ليس الغرض منه مناقشة محمد أحمد في تلك الدعوى وإنما اقناعه بترك تلك (الاجتماعات) حتى ينفصل عنه أتباعه ، فإذن – وفي نظر المؤلف - أن محمد أحمد وحتى عام 1297هـ لم يدع المهدية ، ولكننا نتساءل : هل أمر تلك (الاجتماعات) يحتاج إلى مجلس من القاضي والعلماء حتى يردوا عنها محمد أحمد ؟

ثم يواصل المؤلف حديثه متابعاً الأحداث فيقول :" فاقتصر المدير على إرسال العسكر خاصة ولما وصلوا لموضع اجتماع الفقراء (الاتباع) المذكورين فر الشيخ محمد أحمد وأتباعه فنزل العسكر في منازلهم وذبحوا وأكلوا وناموا تلك الليلة ، ولما علم الفقراء ما صنعه العسكر أتو عليهم آخر تلك الليلة واوقعوا فيهم مذبحة نجا منها من أنجاه الفرار " (11).

يتضح من النص أعلاه أن الاجتماع لم يتم وأن وفد القاضي والعلماء لم يرسلوا أو لم يجهزوا على أقل تقدير ، ولم يحدد المؤلف موضع اجتماع الفقراء ثم أنه يذكر فرار الشيخ محمد أحمد وأتباعه ، ثم مباغتهم للحملة العسكرية والقضاء عليها وهي نائمة.

ثم يتابع المؤلف حديثه قائلاً :" وعاد الشيخ وفقراؤه إلى منازلهم وعند ذلك نبههم الشيخ إلى أنهم الآن صاروا في مشكل مع الدولة ولا يمكن أن تهمل أمرهم بعد ذلك. فاجتمع عليه رؤساء قبيلة بقارة وطلبوا منه الاجتماع على خلاصهم من مشكل الدولة ، وفي أثناء مخابرة المديرية مع حكمدار السودان ومخابرته هو مع الدولة المصرية حضر موسم خلاص أداءات الدولة وورد العسكر المتولي خلاصها فامتنعت القبائل المجتمعة على محمد أحمد من الأداء وقاتلوهم على ضعف قوتهم ، فغلبوهم وعظم بذلك شأن جموع محمد أحمد في نفوس القبائل ، ولم تزل الحكومة السودانية تعالجهم بحركات ضعيفة زاد بها شطط القوم" (12).

ويظهر من كلام المؤلف أن أتباع الشيخ محمد أحمد وجلهم من البقارة قد رأوا الخلاص على يديه من مشكلهم مع الدولة فالتفوا حوله ، ثم دخل العامل الاقتصادي حين رفضت القبائل المجتمعة معه أداء الضرائب وقاتلوا العسكر الذين أتو لجبايتها وغلبوهم مما زاد من مكانة محمد أحمد في نفوس أتباعه ، ثم يشير المؤلف إلى أن محاولات متعددة قامت بها الحكومة للقضاء عليهم ولكنها كانت على كل حال محاولات ضعيفة ، ويتضح لنا عدم تجاوب المؤلف مع حركة محمد أحمد في مثل قوله " شطط القوم".

ثم يواصل المؤلف تتبعه للأحداث قائلاً " وعند ذلك أشاع أعداء محمد من فشودة أنه أدعي أنه هو المهدي وأرسلت الدولة بتولية رؤوف باشا حكمداراً على السودان على عهد وزارة شريف باشا ووالوا إرساليات العساكر إلى أن بلغ عدد العساكر

المرسلة خمسة عشر ألفاً ، ولم تزل النازلة على حالتها وأمر الرجل يعظم ، وكائب خديوي مصر يتبرأ من دعوى المهدية ويتنصل مما رمي به ويعتذر بخوف الوقوع به"(13).

وبالرجوع إلى النص السابق يتبين أن المؤلف يثير قضايا مهمة وخطيرة وأول ما نلاحظه في ذلك أن فكرته تتركز وتدور حول ذلك الشيخ واتباعه المنافسين لمحمد أحمد في فشودة ، فقد أشار من قبل أنه هو الذي أوشى به للحكومة حسداً منه ثم يشير المؤلف هنا في صراحة إلى دور أولئك الأعداء في إشاعة أن محمد أحمد ادعى المهدية ، وهذه أول إشارة لهذه الدعوى ، ثم إن هذه الإشارة تدل

على أن محمد أحمد لم يدع تلك الدعوى في نظر المؤلف وإنما أعداؤه هم الذين اشاعوا ذلك ، ولعل هذا هو السبب في أن المؤلف لم يذكر في عنوان رسالته تلك لقب المهدي وإنما اكتفي بوصفه بالشيخ محمد أحمد ووصف أمره بالنازلة وهذا أمر له دلالته إذ ربما يشير إلى رأي المؤلف في مثل تلك الدعوى (المهدية) وعدم اقتناعه بها ، أو على أقل تقدير عدم تصديقه بادعاء محمد أحمد لها ، ويؤكد زعمنا هذا ما أشار إليه المؤلف صراحة من أن محمد أحمد كاتب خديوي مصر وتبرأ من دعوى المهدية ، وهذا زعم من المؤلف جد خطير ، فهل حدثت هذه المكاتبة حقا بين محمد أحمد والخديوي ؟ ثم إن المؤلف يشير إلى أن اعتذار محمد أحمد وتنصله من دعوى المهدية إنما كان دافعه الخوف من البطش به.

لم يقف المؤلف عند هذا الحد بل جاء بالمزيد من الغرائب حيث يواصل حديثه قائلا :"ولما ظهرت الحادثة العرابية وانقلبت الوزارة أولت عبد القادر باشا حكمداراً على السودان ، وحضر عند رئيس الوكلاء يومئذٍ محمود سامي باشا وأحمد عرابي بأي فعاهدهما على القيام باخضاع الشيخ محمد أحمد. ورأى الخديوي توفيق باشا يومئذٍ أن تفاقم أمر نازلة السودان تضطر إلى توجيه العدد الكثير من العساكر فيقل باخراجهم عدد أنصار أحمد عرابي باي ولربما أفضى الحال إلى ارساله هو وأصحابه فتستريح منهم الدولة والبلاد ولذلك أحضر عبد القادر باشا وطلب منه تقوية شأن محمد أحمد فعاهده على ضد ما عاهد عليه رئيس الوكلاء وسافر على العهدين وجرت أعماله على مقتضاهما بحيث إنه إذا أرسل سرية إلى إخضاع محمد أحمد أسرَّ إلى رئيسها إذا تلاقى مع السودانيين تقهقهر بعسكره فيتبعونه" (14).

يثير المؤلف هنا قضيتين خطيرتين ، فهو يعزي انتصارات محمد أحمد في عهد الحكمدار عبد القادر باشا إلى خطة متفق عليها بين الحكمدار الجديد والخديوي توفيق في مصر ، وهذه الخطة ترتبط بالأوضاع السياسية في مصر والغرض منها القضاء على أحمد عرابي وأنصاره ولا يتم ذلك إلا بتقوية شأن محمد أحمد حسب الخطة المتفق عليها والتي فصَّل المؤلف القول فيها هذه واحدة ، والقضية الثانية هو زعمه أن أحمد عرابي تلقى هو ومحمود سامي باشا العهد من عبد القادر باشا بالقضاء على الشيخ محمد أحمد ، وهذه الإشارة من المؤلف ، إذا قلبناها ، ربما تجلعنا نتتشكك في الزعم القائل بأن محمد أحمد المهدي أراد استبقاء غردون حيا ليفدي به عرابي ، فكيف يفدي المهدي رجلاً عاهده الحكمدار عبد القادر باشا بالقضاء عليه ؟ والذي أرجحه أن أحمد عرابي لا يستبعد أن يكون مائلاً إلى انتصار

محمد أحمد حتى ولو من قبيل عدائه مع توفيق باشا الذي يسعى للخلاص منه بارسال اتباعه وربما إرسال هو نفسه إلى السودان.

وهكذا ففي نظر المؤلف أن الخطة المتفق عليها بين الخديوي توفيق والحكمدار عبد القادر سارت على ما رسم لها وأن انتصارات محمد أحمد وتقدم جيشه تعود إلى ذلك ، ويواصل المؤلف قوله : " ولم يزل السودانييون يقتربون بهذه الطريقة وعبد القادر باشا يستنجد العسكرية المصرية إلى أن وصل محمد أحمد ومن معه إلى سنار وعند ذلك أرسل في يوم واحد تلغرافين إلى مصر ، أحدهما إلى نظارة السودان يخبر فيه بوقوع القبض على محمد أحمد والثاني إلى المعية الخديوية يخبر فيه بأن محمد أحمد قد اعتصم بجبل قدير " (15).

ولا شك أن التلغرافين المتناقضين هما جزء من الخطة الموضوعة والتي كان من غرضها إرسال مزيد من العسكر لتقليل أنصار عرابي حسب الخطة المتفق عليها ، ثم أيضا إظهار الوفاء لنظارة السودان بأنه أخضع محمد أحمد.

وقد اتضح هدف عبد القادر باشا جليا وهو إضعاف عرابي عن طريق تصدير المزيد من رجاله إلى السودان ، ويذكر المؤلف ذلك صراحة بقوله :" ونشرت الوزارة خبر القبض في الجرائد والتلغرافات فإذا بوكيل شركة روتر التلغرافية نقل خبر المعية بالاعتصام ، واختلفت المعية والنظارة واتضح الخلاف بين شخص الخديوي ورئيس الوكلاء محمود سامي ، وفي آخر الأمر اشتد طلب الحكمدار عبد القادر باشا للأسلحة والمعسكر والذخائر لقصد تنقيصها من مصر لإضعاف أحمد عرابي من غير أن يستعملها في قتال أصلاً" (16).

إن هذه الفقرة من كلام الشيخ السنوسي ترجع انتصارات المهدية في زمن الحكمدار عبد القادر باشا إلى أمر مقصود ومدبر بينه وبين الخديوي.

وكما يبدو فإن الثورة العرابية كان لها دور غير مباشر في انتصار الثورة المهدية ؛ ولكن المؤلف يورد بعد ذلك نصاً يفهم منه أن الخديوي قد غير سياسته واتجه فعلاً إلى اخضاع محمد أحمد ويفهم من ذلك النص أيضاً أنه - على الرغم من الغموض الذي به – أن عرابي نفسه كان مستاءً لانتصارات محمد أحمد وكذلك كان الشيخ محمد عبده ، وأورد المؤلف هذه التهمة ضد الشيخ محمد عبده ليدلل بها على عداوته للخديوي إذ أنه كان من المفروض أن يفرح محمد عبده لتلك الانتصارات والتي كان الخديوي يستفيد من ورائها إضعاف عرابي ، وهذا كله يؤكد لنا صحة الزعم الذي زعمه المؤلف من أن هناك خطة متفقاً عليها بين الخديوي والحكمدار عبد القادر باشا لتمكين محمد أحمد من الانتصارات لضرب عرابي في مصر

والسؤال الذي يفرض نفسه هو لماذا كان عرابي غير مسرور بانتصارات محمد أحمد ، هل فطن إلى الخطة المدبرة ضده هو نفسه ، أم أنه كان يطمع في بقاء السودان تحت سيادة مصر ومن ثم تحت سيادته هو إذا قدر للثورة العرابية الانتصار ؟ ويفهم من النص أيضا ومن حديث الشيخ محمد عبده ردا على التهمة التي كيلت له أن الخديوي فعلا قد غير من سياسته نحو محمد أحمد وعزم على إخضاعه ، يقول المؤلف :" وبعد نهاية الحرب استحالت أفكار الخديوي إلى حب إخضاع محمد أحمد وصار ذلك هو سياسة المعية الخديوية حتى إنه في أثناء تحقيقات نوازل عرابي ادعى الكاتب في مجلس النواب إبراهيم أفندي الهلباوي على الشيخ محمد عبده بأن دليل عداوته للخديوي هو ما كان عليه من التكدر عند ورود أخبار انتصار محمد أحمد مدة عرابي مثل تكدر عرابي نفسه ، وعند ذلك أجابه بقوله : إن كان هذا ذنبا فإن شاء الله يكون جناب الخديوي مسروراً باشتداد الفتنة وانتصار محمد أحمد في هذا الوقت الذي هو وقت إرسال الجيوش لاطفائها وإخضاعه" (17).

كان على الشيخ محمد عبده لكي يظهر ولاءه للخديوي أن يفرح بانتصارات محمد أحمد مدة عرابي لأن هذا الانتصار أمر كان الخديوي يسعى له بهدف إضعاف عرابي – وثانيا نحن نعلم أن محمد عبده كان سيء الظن في عرابي وفي ثورته فلماذا لمن ينتهز الفرصة التي رسمها الخديوي للقضاء على رجال عرابي وعلى عرابي نفسه وذلك عن طريق إرسال رجاله إلى السودان لمحاربة محمد أحمد ؟ هل يا ترى أن محمد عبده لم يكن يعلم بتلك الخطة والسياسة المرسومة من جانب الخديوي ؟ إن حديث إبراهيم الهلباوي ضد محمد عبده يؤكد أن خطة الخديوي تجاه

محمد أحمد وعرابي كانت معروفة ولم تكن سرا ويدلنا على هذا قوله بأن دليل عداوة محمد عبده للخديوي هو ما كان عليه من التكدر من ورود أخبار انتصار محمد أحمد مدة عرابي ..) وقوله "مدة عرابي " يشير إلى أن السياسة المخطط لها كانت محدودة ومرتبطة بزمن عرابي ومواجهة الخديوي له ، هل يا ترى أن محمد عبده كان يظهر ذلك " التكدر " لانتصارات محمد أحمد تقية وأنه كان في حقيقة نفسه مسروراً بها لأمر ما؟ هذا ما سنحاول الرد عليه فيما بعد.

ويواصل المؤلف حديثه متتبعاً الحوادث يقول عن حملة هكس : "وبعد نفي عرابي استدعي حكمدار السودان عبد القادر باشا سنة ثلاث عشرومائة يوافق (1882-1883م) وكان مبلغ العساكر المصرية هنالك ثمانية عشر ألفاً ، وبعد أن انحلت العساكر المصرية يومئذٍ وجرد جميع ضباطهم من رتبهم توجه علاء الدين باشا حكمداراً على السودان ، وطلب الجنرال هيكس الانجليزي خمسة آلاف من العسكر

ليتجهز بهم تقوية للجيش المصري بالسودان حتى يتمكن له بذلك إخضاع محمد أحمد فاضطرت الحكومة لطلب العساكر للسودان وخافوا إرادة الغدر بهم وخافتهم الحكومة حتى إنها لم تسلم لهم السلاح إلا بعد ركوبهم في البحر وسافروا بنية الانضمام إلى السودانيين" (18).

يبدو أن مهمة الحكمدار عبد القادر باشا كانت مرحلية تنفيذاً للسياسة المتفق عليها بينه وبين الخديوي ، ومما يدل على ذلك استدعاؤه بعد نفي عرابي من مصر ، واقتضت سياسة المرحلة القادمة تعيين حكمداراً جديداً فكان علاء الدين باشا ، يلاحظ أن الحكومة المصرية كانت في موقف حرج للغاية ، ففي زمن عرابي فرضت على الحكمدار السابق عبد القادر باشا التقهقر أمام جيوش محمد أحمد ، وبعد نفي عرابي كانت الحكومة تخشى من فلول العساكر الذين تم حلهم والضباط الذين جردوا ولذا لما طلب هيكس عساكر ليحارب بهم في السودان خافت الحكومة منهم حذرا من أن ينقلبوا ضدها ويقوموا بثورة داخلية ولذا لم تسلمهم السلاح إلا وهم في البحر ، من كل هذا يبدو أن الظروف في مصر في مرحلة عرابي وما بعده ساعدت محمد أحمد المهدي في السودان بطريق مباشر وغير مباشر.

ويواصل المؤلف حديثه :" وذهب بهم هيكس إلى الخرطوم وكان كثير التشكي من عدم انقياد ضباطهم له ومع ذلك زحف بعشرة آلاف من العساكر المذكورة وغيرهم على مديرية سنار جنوب الخرطوم وأخذ لذلك دليلاً من السودانيين ليهديهم طريق

مواقع اجتماع السودانيين وكان الدليل من أنصار محمد أحمد فطير إليه الخبر وسار بالجيش في طريق غير المراد وأتى بهم في مضيق بين جبلين وقال إنه لا مندوحة عنه "(19).

ونلاحظ أن النص أشار إلى العوامل التي أضعفت من جيش هكس مثل عدم الطاعة والانقياد من جنوده ثم دور الدليل الذي خدعهم مما ساعد في انتصار جيش محمد أحمد المهدي في تلك المعركة التي يعطينا المؤلف وصفاً لها عند التقاء الجيشين "وعند استكمال دخول الجيش كله في ذلك المضيق أحاط بهم السودانييون من أعلى الجبلين بالحجارة والنشاب والبنادق ، وتبين أنه لا يمكن للعساكر أن يستعملوا مدفعاً في ذلك المضيق فنزل عليهم السودان وجرت الملحمة مع شدة سواد السودانيين بما بيَّض وجه تلك المقتلة فذبح هنالك هيكس وضباطه ومن انتصر له وانضم أغلب أولئك العساكر المصرية إلى السودانيين واستأصلوا شافة العدو وكان ذلك في المحرم سنة إحدى وثلاثمئة وألف (يوافق 1883م)" (20).

فإذن وعلى رأي المؤلف فإن من عوامل انتصار الإمام المهدي في تلك المعركة هو ما ذكره أعلاه من المصاعب التي واجهت الجنرال هيكس ، ثم أضاف معلومات لها خطورتها ألا وهي زعمه بانضمام معظم الجنود المصريين في الحملة إلى السودانيين ضد بقية جيش هكس مما ساعد على القضاء عليه ، وقد أشار المؤلف من قبل أن العساكر المصريين لما انضموا إلى هيكس وتوجهوا إلى السودان كان في نيتهم الانضمام إلى السودانيين (21).

ولعل مثل هذه النية وذلك التصرف حيث ذكر انضمام بعضهم إلى السودانيين ، كان له الأثر في وجهة النظر القائلة بمفاداة عرابي بغردون ظناً منهم بتعاطف العرابيين مع ثورة المهدي في حين أن الأمر لا يعدو كراهة فلول جيش عرابي – ممن أرسلوا مع هيكس – للخديوي وحكومته لتجريدها اياهم ونفي زعيمهم ، ويمثل إنضمامهم للمهدي – إن كان حقاً قد حدث هذا – انتقاماً من الخديوي وحكومته الممثلة في بقية الجيش الهكساوي ممن أطلق عليهم المؤلف صفة (العدو) كما مر آنفاً.

وذكر المؤلف أن محمد أحمد المهدي لم يكن حاضراً في تلك المعركة وإنما أتى فيما بعد ، يقول :" وكان محمد أحمد يومئذ مقيماً في عبير وحضر المقتلة بعض قواده إلا أنهم أرسلوا له وحضر لمشاهدة مصارع القوم فوقف على أشلاء الجنرال هيكس ينظرها وهو متكئ على حربته وكافة سواد الجنود يتواردون عليه بالتهنئة والتحية"(22).

ثم يتحدث المؤلف عن الحوادث في شرق السودان بعد معركة شيكان التي لم يشر إليها بهذا الإسم ، ويذكر أن فاكر باشا أو بايكر باشا (يقصد بيكر)خرج بجيوشه لملاقاة المهدي ثم يشير إلى أن المعركة كانت ضد عثمان دجمة كما يسميه ، يقول :"وبهذه الواقعة عظم شأن محمد أحمد في نفوس السودانيين بل ونفوس أرباب الدول ولمحت بذكره جميع الصحف والتلغرافات ، ثم خرج إليه فاكر(بالأصل بايكر) باشا في ثلاثة آلاف منهم ألفان من العسكر المصري وألف من تُوكِر وسواكن والتقى بعثمان دجمة أكبر قواد السودانيين فجرح فاكر باشا جرحا بليغا في تُوكِر وقتل من جيشه نحو الاثني عشرة مائة "(23).

ويبدو اضطراب فكر المؤلف عن مهمة غوردون باشا وعن وظيفته ، فهو يسميه ملك السودان ، كما أنه ذكر أن غردون سمح بإعادة الاشتغال بتجارة الرقيق ولكنه لم يجد تأييداً من الأهالي بل بالعكس وجد المعارضة ، ولكي يكسبهم إلى جانبهم زعم أنه نائباً عن السلطة العثمانية ، كما يشير المؤلف إلى أن خلافاً حدث بين الدولة وغردون ولكن المؤلف لم يشر إلى هذه الدولة هل هي حكومة مصر أم

الدولة العثمانية أم بريطانيا ؟ بل ذكر أن بريطانيا رأت أن تتخلى عن السودان ولا تتدخل في شؤونه لولا تدخل غردون يقول: " وحيث أن اللورد دوفرين من وزراء الإنقليز كان رأيه ترك النازلة وأنه أولى لدولته أن لا تتدخل فيها رجع إلى رأيه رجال الدولة بعد قتل هيكس وفاكر غير أن غردون باشا عند ذلك طلب من الدولة أن تحيل السودان ويتولى هو إمارتها ويجعل لها حماية انقليزية ، ودخل إلى الخرطوم وسمي نفسه ملك السودان وأعلن للسودانيين بإباحة بيع الرقيق ، ثم لما رأى معاكسته أدعي أنه قدم نائبا عن السلطة العثمانية فأقامت الدولة عليه الحجة وأعلنت كذبه " (24) هل يقصد الدولة العثمانية؟.

ثم بعد ذلك يتحدث المؤلف عن فتح الخرطوم وأسر غردون وسيطرة محمد أحمد وأعوانه وردود فعل بريطانيا.

يقول :" وبالآخرة حاصرته الجيوش السودانية في الخرطوم إلى أن استاسره محمد أحمد بفتحها وأصبح القواد من السودان يتصرفون في جميع الأنحاء بعد رفع أيدي المصريين ، والدولة الإنقليزية في قلق من ذلك ، وصارت غاية مطامعها أن تتصل إلى الخرطوم وتكتفي بمحمد أحمد إذا رأت ثباته وتقيم فرقة عسكرية في وادي حلفة للفصل بين مصر والسودان حتى لا تسري عدوى السودانيين للمصريين" (25).

وأخيراً يتحدث عن مقتل غردون ، ويفهم من كلامه أن غردون بقي في الأسر مدة ثم قتل بعد ذلك ، كأن قتله جاء متراخياً بعد الفتح بزمان ، وهذا ينافي ما علم من تاريخ غردون من أنه قتل في نفس اليوم الذي فتحت فيه الخرطوم ، وقد ذكر بروكلمان (26) في كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) أن مقتل غردون كان في ليلة ما بين 25 و 26 من شهر يناير 1885 ثم ختم المؤلف كلامه عن موت محمد أحمد المهدي ، وذلك إذ يقول :" وعلى هاته الحالة دخلت سنة اثنتين وثلاثمائة وألف (يوافق 1884-1885) نسأل الله أن يقدر كل خير للإسلام بجاه النبي عليه الصلاة والسلام ، وقتل غردون آواخر ربيع الثاني من هذا العام (يوافق فبراير 1885 م) وفي أثناء عام اثنتين وثلاثمائة توفي محمد أحمد وقام مقامه أنصار لهم مزيد من الاعتبار " (27).

وقد أشار بروكلمان في كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) أن وفاة محمد أحمد كانت في شهر يونيو بعد مرض بحمى التيفوس أصابه قبل موته بأسبوع (28).

يتضح لنا مما سبق أن الشيخ السنوسي ينفي ادعاء محمد أحمد للمهدية ولم يسمه بذلك اللقب واكتفي باسم محمد أحمد ووصف أمره بالنازلة ، وقد أرجع انتصاراته للظروف السياسية في مصر آنذاك والمرتبطة بحركة عرابي وأشار إلى أن بريطانيا

كانت ستكتفي بالمهدي لما رأت ثباته لولا ما كان من تدخل غردون باشا. ويلاحظ أنه لم يذكر مصادره لكل ما أورده من معلومات وأخبار غير أن محقق كتابه كان يحيلنا إلى بروكلمان ورشيد رضا كما مضي القول في أول حديثنا.

ومن القضايا الخطيرة التي أثارها السنوسي علاقة المهدي بمصر الأمر الذي قادنا فيما بعد إلى تساؤلات منها موقف الشيخ محمد عبده من انتصارات محمد أحمد وهو الموقف الذي اتخذه الهلباوي دليلا على عداوة محمد عبده للخديوي ، وهذا الدليل هو

:" ما كان عليه من التكدر عند ورود خبر انتصار محمد أحمد مدة عرابي .." وكما أسلفنا فإن قوله "مدة عرابي " يشير إلى أن هذه السياسة المخطط لها كانت محدودة ومرتبطة بزمن عرابي ومواجهة الخديوي له. وهل يا ترى أن محمد عبده كان يظهر ذلك "التكدر " لانتصارات محمد أحمد تقية وأنه كان في حقيقة نفسه مسروراً بها لأمر ما؟

إن موقف محمد عبده هذا من ثورة محمد أحمد المهدي يحتاج منا إلى وقفة نوجز فيها الحديث عما أثاره بعض الكتاب من علاقة تربط بين جمال الدين الأفغاني ومحمد أحمد المهدي وزعماء آخرين في العالم الإسلامي آنذاك. ولعل هذه المواقف تفسر لنا حقيقة ما زعمه السنوسي من قبل وهو دراسة محمد احمد المهدي في مصر لكنها تجلعنا في حيرة من أمر محمد عبده وموقفه تجاه ثورة محمد أحمد وعدم رضائه عن انتصاراته وقد كان من المفروض أن يكون فرحاً بهذه الانتصارات إرضاء للخديوي من جهة ثم من جهة أخرى تنفيذا لخطة أستاذه جمال الدين الأفغاني إن صح الزعم حول علاقته بالإمام محمد أحمد المهدي كما يرى بعض المفكرين المعاصرين كما سنوضحه في السطور التالية.

يقول الدكتور محمد محمد حسين – رحمه الله – في كتابه (الإسلام والحضارة الغربية) (ط 1402هـ - 1982م) وهو يتحدث عن جمال الدين الأفغاني " وأنشأ أثناء إقامته في الهند جمعية (العروة الوثقى) السرية التي امتد نشاطها إلى الشام وإلى مصر وإلى السودان وتونس ، وكان من أعضائها الأمير عبد القادر الجزائري ومن اختار من أنجاله ورجاله ، ومنهم محمد أحمد المهدي الذي تتلمذ على الأفغاني في مصر أربع سنوات " (29) على أن جمال الدين الأفغاني كان شيعياً كما يقول د. محمد محمد حسين ، وهو يعتمد في هذا القول على كتاب (جمال الدين الأسدبادي) الذي ألفه ابن أخت جمال الدين الأفغاني واسمه ميرزا لطف الله خان الذي كان يلازمه في زياراته لإيران ، وقد مات ابن أخته هذا سنة 1340 هـ (1921-1922) فعهد ابنه صفات الله الأسد بادي إلى حسين كاظم زاد بنشره ،

فنشره في برلين لأول مرة سنة 1344-1926) حيث كان يقيم وقتذاك ، ثم ترجم إلى العربية سنة 1967م تحت عنوان (جمال الدين الأسدبادي) وفيه يثبت المؤلف والمترجمان بأدلة كثيرة أن جمال الدين كان إيرانياً من أسد أباد (بالقرب من همذان) وأنه كان شيعياً ، ولم يكن أفغانياً من أسعد أباد (من أعمال كابل بأفغانستان ، كما لم يكن سنياً حنفي المذهب ، على ما كان يزعمه وعلى ما هو مشهور حتى الآن بين الناس(30).

ويؤكد د. محمد محمد حسين(31) على هذه الصلة المزعومة بين جمال الدين الأفغاني (أو الأسدبادي) ومحمد عبده من جهة والإمام محمد أحمد المهدي من جهة أخرى فيقول نقلاً عن الجزء الثاني من كتاب (تاريخ الأستاذ الإمام) لمحمد رشيد رضا(32) "وقد حفظ الجزء الثاني من (تاريخ الأستاذ الإمام) لمحمد رشيد رضا عدداً من الرسائل التي تداولها محمد عبده مع أعضاء هذه الجمعية (يقصد العروة الوثقى) وهي مليئة بالإشارات والرموز وبعض هذه الإشارات يدل على أن محمد عبده قد دخل سراً إلى مصر ، استعداداً لدخول السودان والاتصال بالمهدي ومر أثناء هذه الجولة بتونس وبالشام ، حيث كان يعمل على (إحكام العروة وتمكين عقودها) حسب تعبيره " .

ما الهدف الذي كان جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده يطمحان إلى تحقيقه ، وما الأساس الذي قامت عليه دعوتهما ؟ يقول د. محمد حسين أن دعوة الأفغاني التي تربى عليها محمد عبده دعوة سرية لها باطن وظاهر ، فظاهرها يخاطب الجماهير بما يعجبهم ، وباطنها أن الأفغاني كان يريد أن " يعيد الدور نفسه الذي لعبه الإسماعلية من أصحاب الدعوات الباطنية التي تتستر وراء التشيع ، وتتقرب إلى جمهور المسلمين بأن تدعو إلى خلافة أهل بيت النبوة. وكان يريد أن يعيد الدور نفسه الذي لعبه الإسماعيلية حين أقاموا دولتهم الفاطمية في مصر بعد أن مهدوا لذلك بالاستيلاء على المغرب وانتظار الفرصة السانحة للزحف منه إلى مصر ، ولكن الأفغاني استبدل السودان بالمغرب في تخطيطه السري ، ومن هنا كان اهتمامه بثورة المهدي ومفاوضاته باسمها في إنجلترا ، ومن هنا كان إنشاؤه جمعية العروة الوثقى السرية التي انتشرت فروعها في شمال إفريقية ، وفي الشام وفي السودان والتي وضع لها نظاماً يضاهي النظام الماسوني في درجاته" (33).

ويتسائل د.محمد حسين – وهو يتحدث عن جمال الدين ، وهذا التساؤل يلقي لنا مزيداً من الضوء على العلاقة المزعومة بينه وبين الإمام المهدي – قائلاً :" وباسم من كان يفاوض الإنجليز في الوصول إلى اتفاق مع تركيا ضد روسيا؟ ومع المهدي للاعتراف باستقلال السودان؟ " (34).

فإن صحت هذه المفاوضات فهل تفسر لنا موقف المهدي من محاولته الإبقاء على حياة غردون وعدم رضائه عن مقتله ؟ وهو تفسير جديد – إذا قبلناه – يؤكد صحة ما ذهبنا إليه من رفض الرأي الذي يقول إن المهدي كان يريد أن يفدي أحمد عرابي في مقابل حياة غردون ، وهو أمر كنا قد استبعدناه من قبل.

ويؤكد د.محمد محمد حسين أمر هذه المفاوضات كما يؤكد علاقة جمال الدين ومحمد عبده بالثورة المهدية في السودان وهو في ذلك ينقل عن محمد رشيد رضا في كتابه (تاريخ الأستاذ الإمام) (35) الذي يرى " أن الأفغاني ومحمد عبده كانا يهدفان إلى إخراج الإنجليز من مصر والسودان ، أو إقناعهم بترك السودان ، بتكبير شأن دعوى محمد أحمد للمهدوية ، حتى إذا تيسر ذلك ، وتم لهما هذا ، ذهبا إلى السودان خفية ونظما فيه قوة محمد أحمد ، توسلاً إلى انقاذ مصر بها ، وتأسيس دولة قوية ، يعتز بها الإسلام ، والشرق وتتحرر شعوبهما من الرق " (36).

ويؤكد كاتب آخر القول حول علاقة جمال الدين الأفغاني مع إنجلترا فيما يتعلق بالسودان ومفاوضاته معها ليس حول استقلال السودان هذه المرة وإنما ليتولى جمال الدين السلطة فيه كما تهدف بريطانيا ، يقول د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي في كتابه (منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير) في معرض الحديث عن جمال الدين الأفغاني ونشاطه السياسي وعلاقته بالإنجليز رغم محاربته لهم " ولا تجد انجلترا مانعاً قبل ذلك من عرضها له لتولية السلطة في السودان " (37).

لقد سقنا كل هذه الآراء محاولة منا لكشف حقيقة ما زعمه الشيخ محمد عثمان السنوسي في مؤلفه (الرحلة الحجازية) من أن محمد أحمد المهدي قد تعلم بمصر لمدة سنتين ، وقد تبين لنا مما أورده د.محمد محمد حسين استناداً على محمد رشيد رضا في كتابه (تاريخ الأستاذ الإمام) وعلى غيره من المراجع أن محمد أحمد المهدي كان قد تتلمذ على يد الأفغاني في مصر مدة أربع سنوات. كذلك سقنا تلك الآراء لتلقي الضوء على موقف محمد عبده من ثورة محمد أحمد المهدي ، ويستنتج من كل ما أوردناه أن ثمة علاقة كانت تربط بين جمال الدين الأفغاني من جهة ومحمد أحمد المهدي من جهة أخرى.

غير أن طبيعة هذه العلاقة – إن وجدت حقاً – يلفها الغموض فهل كان محمد أحمد تتلمذ للأفغاني حقاً؟ وهل كان عضواً في جمعية (العروة الوثقى) كما زعمت تلك المصادر؟ وهل زار المهدي مصر سرا والتقى بجمال الدين وتلميذه محمد عبده لمدة سنتين أو أربع على اختلاف في الروايات ؟ وهل كانت هذه السرية جزءاً من النشاط شبه الإسماعيلي في السودان رعاه االأفغاني وتلميذه محمد عبده ؟ وهل كان محمد أحمد على علم بهذا الاتجاه شبه الإسماعيلي أم كان يجهل حقيقة الأمر؟.

أم أن ذلك كله لم يحدث فنقول في المقابل أن جمال الدين ومحمد عبده قد حاولا استغلال الثورة المهدية لتنفيذ أهدافهما في تحرير العالم الإسلامي انطلاقا من السودان ثم مصر إلى غيرها من بلدان العالم الإسلامي ، وكلنا نعلم أن المهدي كان يرى أن مهديته ليست قاصرة على السودان وإنما ستمتد إلى غيره من بلدان الإسلام ، فهل كان هذا اتفاقاً ومصادفة ؟ أعني فكرة جمال الدين ومحمد عبده من جعل السودان منطلقا لتحرير بقية العالم الإسلامي ، وفكرة المهدي عن عموم مهديته تلك الفكرة التي حاول خليفته من بعده تنفيذها بإرساله حملة توشكي ؟ كما يجب أن نضع في أذهاننا سنوسي ليبيا الذي جعله المهدي أحد خلفائه الأربعة مما يقوي فكرة عمومية المهدية ثم يثير تساؤلاً هل كان السنوسي ذا علاقة مع حركة جمال الدين والعروة والوثقى ؟ إن هذه السؤال يفرض نفسه تمشياً مع الحقائق التي وردت سابقاً من أن دعوة جمال الدين قد كان لها فروع تمثل (العروة الوثقى) في شمال أفريقيا وإلا فلماذا اختار المهدي السنوسي أحد خلفائه ؟ ثم هناك سؤال أخير : هل استبدل جمال الدين الأفعاني فكرة خلافة أهل بيت النبوة التي كانت ظاهرة دعوة الشيعة الإسماعلية ، هل استبدلها بفكرة المهدية والتي لا تبعد كثيراً من أهل بيت النبوة عند كافة المسلمين بطوائفهم المختلفة؟

إن هذه الافتراضات والمزاعم التي جاءت من بعض هؤلاء الكتاب المعاصرين من ربط الثورة المهدية بدعوة جمال الدين الأفغاني – بغض النظر عن حقيقة تلك الدعوة وتفصيلاتها وطبيعتها – ومما جاء على لسان الشيخ محمد بن عثمان السنوسي من محاولة ربطه بين انتصارات المهدية وظروف حركة عرابي في مصر ومحاولة الخديوي للتخلص منه ، إن كل هذه المزاعم والافتراضات – إن صدقت – فإنما توشك أن تجرد الثورة المهدية من ثوبها الوطني والقومي والسوداني ومن انتمائها السني ، وتجعلها أداة تخضع لظروف حكم الخديوي في مصر ، والوضع السياسي العالمي آنذاك ثم تجلعها – علمت أم جهلت – ثمرة لم يكتمل نضجها غرست شجرتها أوسقتها ورعتها حركة جمال الدين الأفغاني (أو الأسد بادي) المشتبه في انتمائها الشيعي وفكرها الباطني المتلبس بتاريخ حركة المذهب السياسي للإسماعيلية القديمة .

إن عبء الرد على هذه التساؤلات وتمحيص تلك المزاعم والافتراضات يقع على عاتق مؤرخينا السودانيين الأفاضل.

الهوامش

(1) الشيخ محمد بن عثمان السنوسي، الرحلة الحجازية، تحقيق/ د.علي الشنوفي، نشر الشركة التونسية للتوزيع، طبع بالمطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1398هـ، 1978م، ج3ص11.

(2) نفسه ج3ص289.

(3) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية/ نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1973م، ص341.

(4) محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، عن مطبعة المنار، 1350هـ، ج1ص370.382.

(5) الشيخ محمد بن عثمان السنوسي، الرحلة الحجازية ج3ص290.

(6) مكي شبيكة، السودان عبر القرون، ط3، دار الجيل، بيروت، 1991م، ص250.260.

(7) نعوم شقير، تاريخ السودان، تحقيق وتقديم/ د.محمد إبراهيم أبو سليم، دار الجيل، بيروت، 1981م، ص315، 323.

(8) محمد إبراهيم أبو سليم، الحركة الفكرية في المهدية، ط3، مطبعة جامعة الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1989م، ص27.

(9) مكي شبيكة، السودان عبر القرون ص250.

(10) الشيخ محمد بن عثمان السنوسي، الرحلة الحجازية ج3ص289.

(11) نفسه ص290.

(12) نفسه ص291.

(13) نفسه ص291.

(14) نفسه ص291.

(15) نفسه ص291.

(16) نفسه ص296.

(17) نفسه ص291.

(18) نفسه ص292.

(19) نفسه ص292.

(20) نفسه ص292.

(21) نفسه ص292.

(22) نفسه ص292.293.

(23) نفسه ص293.

(24) نفسه ص293.

(25) نفسه ص293.

(26) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ص344.

(27) الشيخ محمد بن عثمان السنوسي، الرحلة الحجازية ص294.

(28) نفسه ص294.

(29) محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، ط5، 1402هـ، 1982م، ص23.

(30) نفسه ص61، 62.

(31) نفسه ص22.

(32) محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام ج1ص280.283.

(33) محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية ص29.

(34) نفسه ص22.

(35) محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام ج1ص380.

(36) محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية ص270.

(37) فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ط2، طبع بإذن البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1403هـ، 1983م، ج1ص92.

التعديلات

فهرس المراجع

1/ بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية/ نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1973م.

2/ الشيخ محمد بن عثمان السنوسي، الرحلة الحجازية، تحقيق/ د.علي الشنوفي، نشر الشركة التونسية للتوزيع، طبع بالمطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1398هـ، 1978م.

3/ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ط2، طبع بإذن البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1403هـ، 1983م.

4/ محمد إبراهيم أبو سليم، الحركة الفكرية في المهدية، ط3، مطبعة جامعة الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1989م.

5/ محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، عن مطبعة المنار، 1350هـ.

6/ محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، ط5، 1402هـ، 1982م.

7/ مكي شبيكة، السودان عبر القرون، ط3، دار الجيل، بيروت، 1991م.

8/ نعوم شقير، تاريخ السودان، تحقيق وتقديم/ د.محمد إبراهيم أبو سليم، دار الجيل، بيروت، 1981م.